تعيش الحيوانات والطيور فى جماعات

﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾

[الأنعام: ٣٨].

أثبتت الأبحاث أن الحيوانات والطيور تعيش فى مجتمعات، أى أنها منظمة وتعيش وتعمل معا.

رحلة الطيور

يقول القرآن فيما يتعلق برحلة الطيور:

﴿ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [النحل: ٧٩].

وقد تكررت نفس الرسالة في القرآن في الآية :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [الملك : ١٩].

الكلمة العربية أمسك معناها يضع يده على أو يقبض على، وهي تعبر عن فكرة أن الله يمسك الطير فوق بقوته. هذه الآيات تركز على الاعتماد التام للطيور في تصرفها على القدرة الإلهية. أظهرت معلومات العلم الحديث مقدار الإتقان الذي يصل إليه نوع معين من الطيور فيما يتعلق ببرمجة حركتهم. فهناك برنامج للهجرة في چيناتهم، وهذا الذي يمكن أن يفسر الرحلة الطويلة والمعقدة التي تقطعها الطيور الصغيرة، والتي ليس لديها أي خبرة سابقة ولا أي مرشد. كما أنها تستطيع العودة إلى نقطة الانطلاق في وقت محدد.

يعطي الأستاذ هامبورجر (Prof. Hamburger) المثل في كتابه (القوة والضعف) [Power & Fragility] بطائر (mutton bird) الذي يعيش في الپاسفيك ويقطع رحلة أكثر من بضعة آلاف ميل على شكل رقم "8"، ويقوم بهذه الرحلة في مدة تزيد عن ٦ شهور، ويعود ثانية إلى نقطة انطلاقه، بتأخر لا يتعدى أسبوعًا. التعليمات شديدة التعقيد. لمثل هذه الرحلة لا بد وأن تكون محتواه في الخلايا العصبية للطيور، أي أنها لا بد أن تكون مبرمجة. أليس علينا أن نفكر في هوية المبرمج؟!

النحل

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾

[النحل : ٦٨ - ٦٩].

لقد فاز ڤون فريش (Von Frisch) بجائزة نوبل عام ١٩٧٣م على أبحاثه عن تصرفات واتصالات النحل . تعود النحلة بعد اكتشافها أى حديقة أو وردة جديدة لتخبر رفقاءها بالاتجاه الصحيح وخريطة الوصول إليهما، وهى ما تعرف باسم «رقصة النحل». إن معنى حركات النحل ، والتى يقصد بها نقل المعلومات بين النحل الشغالات، قد اكتشفت علميًا باستخدام التصوير ووسائل أخرى. القرآن ذكر فى الآية السابقة كيف يسلك النحل سبل ربه ذللاً.

إن النحلة الشغالة أو النحلة الجندى، هى نحلة مؤنثة. فى سورة النحل الآيات ٦٨ ، ٦٩ يتحول الخطاب من عموم النحل إلى جنس النحل القائد، (اتخذى . . . كلى . . . فاسلكى)(*) ، بما فى ذلك أن النحلة التى تترك بيتها لجمع الطعام هى نحلة مؤنثة، بمعنى آخر أن النحلة الشغالة أو الشرطية هى نحلة مؤنثة .

فى الحقيقة فى مسرحية شكسپير (هنرى الرابع) تتحدث بعض الشخصيات عن النحل أنها جنود ولها ملك، وهذا ما كان يعتقده الناس فى أيام شكسپير. كانوا يعتقدون أن النحل الشغال ذكور، وهم يعودون لبيوتهم، ومسئولون أمام ملك. ولكن هذا ليس صحيحًا؛ لأن النحل الشغال مؤنث، وهى تقدم تقريرها لملكة وليس ملكًا، وقد احتاج اكتشاف ذلك إلى أبحاث تمت فى الـ٣٠٠ عام الأخيرة.

(*) قارن ذلك بما أمر الله به آدم ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة . . . ﴾.

نسيج العنكبوت (بيته) ضعيف (وهن)

لقد ذكر القرآن فى سورة العنكبوت:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(*) [العنكبوت: ٤١].

إلى جانب إعطاء الوصف المادى لنسيج العنكبوت أنه واه جدًا، رقيق وضعيف، فإن القرآن أيضًا قصد العلاقة الواهية فىّ عائلة العنكبوت، حيث تقتل أنثى العنكبوت فى مرات كثيرة ذكر العنكبوت.

طريقة معيشة واتصالات النمل

فلنتأمل الآية القرآنية التالية: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٧-١٨].

فى الماضى، كان يمكن أن يهزأ بعض الناس من القرآن، ويعتبرونه حكايات خيالية فيه يتكلم النمل مع بعضه ويوصل رسائل معقدة. فى الوقت الحديث، أثبتت الأبحاث عدة حقائق

(*) إضافة ﴿لو كانوا يعلمون﴾ تدعو للنظر فيما وراء ضعف نسيج العنكبوت الذى يراه ويعرفه الكثيرون.

حول طريقة معيشة النمل، وهى ما لم تكن معروفة للبشر:

(ا) يدفن النمل موتاه بطريقة مشابهة للإنسان.

(ب) لدى النمل نظام معقد لتقسيم العمل، حيث إن هناك مديرين، ملاحظين، كبراء عمال، وعمالاً.

(جـ) يلتقى النمل بين حين وآخر للثرثرة.

(د) لدى النمل وسيلة اتصال حديثة.

(هـ) يقيم النمل أسواقًا يتم فيها تبادل البضائع.

(و) يخزن النمل الحبوب لفترات طويلة فى الشتاء، وإذا بدأت فى التبرعم يقطع النمل جذورها، كما لو كانوا يفهمون أنهم إذا تركوها تنمو فإنها ستتعفن. وإذا ابتلت هذه الحبوب نتيجة للأمطار، فإنهم يخرجونها لتجف فى ضوء الشمس، وعند جفافها فإنهم يعيدونها ثانية للداخل كما لو كانوا يفهمون أن الرطوبة تسبب ظهور الجذور التى بدورها تؤدى إلى تعفن الحبوب.

وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى
من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما
يعرشون
النحل: 68